

مِن جَب الْأَسْوَد إِلَى جَب الْمَلَائِكَةِ



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: دانيال ٦: ١٨: ٦-٩؛ إنجيل متى ٦: ٦؛ أعمال الرسل ٥: ٢٧-٣٢؛ إنجيل مرقس ٦: ١٤-٢٩؛ عبرانيين ١١: ٣٥-٣٨.

آية الحفظ: «ثُمَّ أَنَّ الْوُزَرَاءَ وَالْمَرَازِبَةَ كَانُوا يَطْلُبُونَ عِلَّةً يَجِدُونَهَا عَلَى دَانِيَالٍ مِنْ جِهَةِ الْمَمْلَكَةِ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَجِدُوا عِلَّةً وَلَا ذَنْبًا لِأَنَّهُ كَانَ أَمِينًا وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ خَطَأً وَلَا ذَنْبًا» (دانيال ٦: ٤).

بعد استيلاء مادي وفارس على بابل، أدرك داريوس المادي حكمة دانيال ودعاه ليكون جزءًا من الحكومة الجديدة. تفوق ذلك النبي المُسْنِ في أداء واجباته العامّة حتى أن الملك الجديد عينه لتولّي شؤون مملكة مادي وفارس كلها. ولكن، إذ تنكشف أحداث الأصحاب، يُواجه دانيال نتيجة ما يُمكن أن يُطلق عليه بصدق اسم الخطية الأولى - تلك هي الغيرة. مع ذلك، وقَبْلَ أَنْ تنتهي القصة، نستطيع أن نرى أن دانيال كان أمينًا، ليس فقط في واجباته المدنية والعامّة تحت حُكم مادي وفارس، ولكن الأكثر أهمية أنه بقي أمينًا لإلهه. ويمكننا أن نتأكّد، إلى حدّ بعيد، أن أمانته لله قد أثّرت بصورة مباشرة على أمانته في النواحي الأخرى أيضًا. إنَّ اختبار دانيال مع الاضطهاد يخدم كنموذج لشعب الله في وقت النهاية. إنَّ القصة لا تعني أو تفترض أنَّ شعب الله سيتم إنقاذهم من التجارب والمُعاناة. ولكن ما تؤكّده وتضمنه هو أن الخير، في الصراع مع الشر، سينتصر في النهاية، وسيُنقذ الله شعبه في نهاية المطاف.

* نرجو التعمّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١٥ شباط (فبراير).

النفوس الحاسدة (الغيرة)

حتى في السماء، في بيئة مثالية، شعر لوسيفر بالغيرة من المسيح. «كان لوسيفر غيورًا وحسودًا من يسوع المسيح. مع ذلك حينما انحنى جمع الملائكة ليسوع مُعترفين بسيادته وسلطته العليا وأحقيته للحكم، انحنى معهم؛ لكن قلبه كان مملوءًا بالغيرة والبغضاء» (روح النبوة، قصة الفداء، صفحة ١٤). إنَّ الغيرة هي شعور خطير جدًّا إذا أضمَره الإنسان في نفسه، حتى أنَّ الوصايا العشر ذاتها، إلى جانب تحريمها القتل والسرقة، تورد وصية ضدَّ الاشتهاء أو الطمع (انظر خروج ٢٠: ١٧).

اقرأ دانيال ٦: ١-٥، إلى جانب تكوين ٣٧: ١١ و١ صموئيل ١٨: ٦-٩. أي دور تلعبه الغيرة في كل هذه القصص؟

أثارت قدرات دانيال الإدارية إعجاب الملك لكنَّها حرَّضت الغيرة والحسد في نفوس المسؤولين الآخرين. ولذلك، تأمروا ليتخلصوا منه باتهامه بالفساد. ولكن بقدر ما بحثوا وفتَّشوا، لم يجدوا خطأ في إدارة دانيال. «فلم يقدروا أن يجدوا علة ولا ذنبًا لأنه كان أمينًا ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب» (دانيال ٦: ٤). الكلمة المُترجمة «أمينًا» في اللغة الآرامية يمكن ترجمتها أيضًا إلى «جدير بالثقة».

كان دانيال بلا عيب؛ لم يكن لدى المسؤولين أي مُستمسك لإقامة اتِّهام ضده. ولكنهم، أدركوا أيضًا مدى أمانة دانيال لإلهه ومدى طاعته لشريعة إلهه. وسُرعان ما أدركوا أنهم لكي يُوقَعوا بدانيال، عليهم أن يجدوا موقفًا يواجه فيه دانيال مُعضلة إما إطاعة شريعة الله أو قانون الإمبراطورية. ومن خلال ما عرّفه المسؤولون عن دانيال، كانوا على تمام الثقة بأنَّه تحت الظروف المناسبة سيقف إلى جانب شريعة إلهه فوق قوانين الإمبراطورية. يا لها من شهادة لأمانة دانيال!

أي نوع من الصراعات مع الغيرة كان عليك أن تتعامل معها، وكيف تعاملت معها؟ لماذا تُعبّر الغيرة خطأً روحيًا مميّنا ومُعطَّلًا؟

المؤامرة ضد دانيال

اقرأ دانيال ٦: ٦-٩. ما هي الفكرة وراء هذا القرار؟ وكيف تحايَلوا على غرور الملك؟

قد يبدو داريوس سخيًّا بإصداره أمرًا سرعان ما تمنى أن يُبطله. لقد وقع في فخ نَصَبه الحُكَّام، الذين كانوا بارعين بما يكفي ليلعبوا بالأحوال السياسية للمملكة المؤسسة حديثًا. كان داريوس قد طَبَّق مبدأ اللامركزية في الحكومة وقام بتأسيس مائة وعشرين حاكمًا (مَرزبان) لجعل الإدارة أكثر كفاءة. ولكن، فعلاً كهذا يترتب عليه بعض المجازفات على المدى البعيد. فكان يُمكن لأحد الحُكَّام ذوي النفوذ أن يُنشئ، بكل سهولة، تمردًا وينشق أو يُمرِّق المملكة. ولهذا، فإصدار قانون يُرغم الجميع أن يرفعوا طلبهم إلى الملك فقط على مدى ثلاثين يومًا يبدو كأنه تدبير جيد لتعزيز الولاء للملك، وبذلك يمنع أي نوع من التحريض. لكنَّ الحُكَّام ضللوا الملك بدعواهم أن هذا الاقتراح يتمتَّع بِدَعْم «كل» الحُكَّام، والوزراء، والمازبة، وقادة الحرس، والمشيرين، والولاة - عدم دقَّة واضحة هُنا، حيث أن دانيال غير مشمول. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ احتمال معاملته كإله، ربما كانت جذابة بالنسبة للملك.

لا يوجد أي دليل على أنَّ الملوك الفرس ادَّعوا مرتبة الألوهية. ولكن مع هذا، فربما كان القصد من الأمر أو القرار أن يجعل الملك هو المُمثِّل الوحيد لجميع الآلهة لفترة ثلاثين يومًا؛ أي أنَّ، الصلوات للآلهة يجب أن تُقدِّم من خلاله هو فقط. من المؤسف، أنَّ الملك لم يستقصِ الدوافع وراء ذلك الاقتراح. وهكذا، فشل في إدراك أنَّ القانون الذي زُعم أنَّ من شأنه يمنع التآمر، كان في حدِّ ذاته تآمرًا لإيذاء دانيال.

هُناك جانبان من هذا القانون يستحقان الانتباه إليهما. أولًا، إن عقوبة العصيان هي الطَّرْح في جُبِّ الأسود. بما أنَّ هذا النوع من العقاب لم يُختَر في أي مكان آخر، فلربما كان قد صِيغَ خصيصًا بواسطة أعداء دانيال. كان ملوك الشرق الأدنى يضعون الأسود في أفصاص لكي يلقوهم في مناسبات مُعيَّنة للصيد. وهكذا لم يكن هناك نقص في الأسود لتمزيق جسد كل من يجرؤ على انتهاك أمر الملك. ثانيًا، لا يمكن نسخ الأمر أو تغييره. إنَّ طبيعة شريعة «مادي وفارس» التي لا تتغير أو تُنسخ دُكِرَت أيضًا في أستير ١: ١٩ وأستير ٨: ٨. فالمؤرخ اليوناني القديم، ديودورس سيكولاس، ذكَّر إحدى المناسبات عندما غيَّر داريوس الثالث (لا ينبغي الخلط بينه وبين داريوس المذكور في دانيال) غيَّر رأيه ولكنه لم يستطع أن يلغي حكمًا بالموت كان قد أصدره على رجل بريء.

صلاة دانيال

«أما أنت، فمتى صليت، فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يُجازيك علانية» (إنجيل متى ٦: ٦).

اقرأ دانيال ٦: ١٠. لماذا لم يُصلِّ دانيال ببساطة وهدوء وبدون أن يراه أحد؟

دانيال رجل دولة مُختبر، لكنه، فوق كل شيء، خادم الله. وعلى ذلك، فهو العضو الوحيد في الحكومة الذي يُمكنه أن يفهم ما الذي يكمن وراء أمر الملك. بالنسبة لداريوس فإنَّ الأمر أو القرار يهدف إلى تدعيم وحدة المملكة، ولكن بالنسبة للمتآمريين فقد كان الأمر تديبيراً وخطّة للتخلُّص من دانيال.

بالطبع، إنَّ الأسباب والدوافع الحقيقية خلف المؤامرة تكمن في المعركة الكونية بين الله وقوى الشر. في هذا الوقت (٥٣٩ ق. م.) كان دانيال قد تلقى بالفعل الرؤى الواردة في دانيال ٧ (٥٥٣ ق. م.) و٨ (٥٥١ ق. م.). ولذلك فقد تمكَّن من فهم الأمر الملكي، ليس كمجرد أمور سياسة بشرية بل كمثال لتلك الحرب الكونية. إنَّ رؤية ابن الإنسان يُسلِّم الملكوت إلى شعب قديسي العلي والمُساعدة المُعزيّة لتفسير الملك (دانيال ٧) ربما منحته الشجاعة لمواجهة الكوارث بصورة مباشرة. وربما تأمل أيضًا في اختبار رفاقه، الذين كانت لهم شجاعة كافية لتحدي أمر الملك بُوحْدَنْصَر (دانيال ٣). وهكذا، لم يُغيِّر عاداته في العبادة بل يستمر في ممارسة طقوسه في الصلاة ثلاث مرَّات يوميًا موجِّهاً وجهه نحو أورشليم. وبالرغم من تحريم رفع أي طلب إلى أي شخص أو إله إلا الملك، لم يتَّخذ دانيال أية احتياطات للاختفاء أو للتمويه عن حياة الصلاة الخاصة به خلال تلك الأيام الثلاثين الحرجة. إنه أقلية مطلقة حيث أنه الوحيد، بين العشرات من الحُكَّام والوزراء والمسؤولين، على مسارٍ تصادمي مع الأمر الملكي. من خلال حياة الصلاة العلنية، أظهر دانيال أنَّ الولاء الذي يدين به الله يأتي قبل ولائه للملك ولأمره الذي لا يُنسخ أو يتغيَّر.

اقرأ أعمال الرسل ٥: ٢٧-٣٢. رغم أنَّ التحذير واضح هنا، لماذا ينبغي علينا، عندما نتصرَّف بتحدٍّ للقانون البشري، أن نكون مُتأكِّدين دائماً أنَّ ما نفعله هو بالحقيقة إرادة الله؟ (على كل حال، فكَّر في الناس الذين ماتوا بدلاً من أن يتخلَّوا عن إيمان أو نظام معتقدات نؤمن أنه خطأ!).

في جب الأسود

اقرأ دانيال ٦: ١١-٢٣. ما الذي يقوله الملك لدانيال والذي يظهر مدى قوّة وأمانة شهادة دانيال لله؟

سُرعان ما رصد المتآمرون دانيال يُصَلِّي - وهذا معناه، قيامه بفعل ما حرّمه الأمر تمامًا. وإذ جاؤوا باتهامهم أمام الملك، أشاروا إلى دانيال بطريقة مُهينة «إنّ دانيال الذي من بني سبي يهوذا» (دانيال ٦: ١٣). في نظرهم، أحد رؤساء الحكام في الإمبراطورية، الشخص المُفضّل لدى الملك، ليس سوى «مسيبي». بالإضافة إلى ذلك، وضعوا دانيال في مُنافسة مع الملك قائلين أنّ دانيال «لم يجعل لك أيها الملك اعتبارًا ولا للنهي الذي أمضيته». أدرك الملك الآن أنّه وقع في فخ بتوقيعه على الأمر. تقول الآية: «واجتهد إلى غروب الشمس ليُنقِذَه» (دانيال ٦: ١٤). لكن لم يكن في استطاعته أن يفعل شيئًا لينقذ النبي من العقاب المنصوص عليه. فقانون مادي وفارس غير القابل للنقض يجب أن يُطبّق بالحرف الواحد. وهكذا أصدر الملك، على مضض، أمرًا بطرح دانيال إلى الأسود. ولكن في قيامه بفعل ذلك، يُعبّر داريوس عن بريق أمل، يبدو وكأنّه صلاة: «إنّ إلهك الذي تعبده دائمًا هو يُنجّيك» (دانيال ٦: ١٦).

إنّ النصّ الكتابي لا يُخبر ما الذي يفعله دانيال بين الأسود، ولكن يمكن أن نفترض أنه كان يُصَلِّي. ويكافئ الله إيمان دانيال بإرساله ملاكه ليحفظه. في الصباح، ظلّ دانيال دون أدنى ومستعدًا لاستئناف نشاطاته في الحكومة. تعقيبًا على هذا الحادث تقول إلن هوايت: «إنّ الله لم يمنع أعداء دانيال من طرحه في جبّ الأسود، فلقد سمح للملائكة والناس الأشرار، لتتميم قصدهم إلى هذا الحد. ولكن الله قصّد من ذلك أن يزيد من شهرة نجاة عبده ويجعل هزيمة أعداء الحق والبر أكمل وأشمل» (روح النبوة، أنبياء وملوك، صفحة ٤٤٤).

على الرغم من أنّ هذه القصة لها نهاية سعيدة (على الأقل بالنسبة لدانيال)، ماذا عن تلك القصص، حتى تلك التي في الكتاب المقدّس (انظر على سبيل المثال، إنجيل مرقس ٦: ١٤-٢٩)، التي لا تنتهي بالنجاة هنا؟ كيف لنا أن نفهمها؟

التبرئة (التبرير)

اقرأ دانيال ٦: ٢٤-٢٨. ما هي الشهادة التي أعطاها الملك عن الله؟

نقطة هامة في هذا السرد هي أنّ داريوس يُسبِّح الله ويعترف بسلطان الله. هذا ذروة التسابيح أو التعبير عن الاعتراف الذي قُدِّم إلى الله في الأصحاحات السالفة (دانيال ٢: ٢٠-٢٣؛ دانيال ٣: ٢٨، ٢٩؛ دانيال ٤: ١-٣، ٣٤-٣٧). مثل بَبُوخَدَنْصَر، يتجاوب داريوس مع نجاة دانيال بتسبيح الله. ولكنه يفعل أكثر، أيصًا: فهو يعكس أمره السابق ويأمر الجميع بأن يخافوا «قُدَّامَ إِلَهٍ دَانِيَالٍ» (دانيال ٦: ٢٦). نعم، لقد أنقذ دانيال بطريقة مُعْجِزِيَّة، لقد كوفئت أمانته، والشر نال قصاصه، وتبرّرت كرامة الله وقوته. ولكن ما نراه هنا هو مثال مُصَغَّر عمّا سيحدث على نطاق عالمي: نجاة شعب الله، مُعاقبة الشر، والرب يتبرّر أمام الكون.

اقرأ دانيال ٦: ٢٤. ماذا يُمكن أن نجده مُزعج بعض الشيء في هذه الآية، ولماذا؟

هنالك، مع ذلك، مُشكلة مُزعجة، وهي أنّ الزوجات والأبناء الذين، بقدر ما نعرف، هم أبرياء، مع ذلك يُفاسون نفس المصير كالأشخاص المذنبين. كيف يمكننا أن نُفسّر ما يبدو وكأنه سوء تطبيق للعدالة؟
أولًا، علينا أن نلاحظ بأنّ الفعل قد تقرّر وتم تطبيقه بواسطة الملك وفقًا للقانون الفارسي، الذي يشمل العائلة في عقاب المُجرم. وبحسب المبدأ القديم، العائلة بأكملها تتحمّل المسؤولية عن جريمة أحد أفرادها. هذا لا يعني أنّ ذلك صحيح؛ لكنه يعني أنّ هذه القصة تتناسب مع ما نعرفه عن القانون الفارسي.
ثانيًا، علينا أن نلاحظ بأنّ السرد الكتابي يُسجّل الحدث لكنه لا يُقر أو يُصادق على فعل الملك. في الحقيقة، الكتاب المُقدَّس يُحرّم بوضوح أن يُقتل الأبناء بسبب خطايا آبائهم (تثنية ٢٤: ١٦).

في مواجهة ظلم مثل هذا ومظالم أخرى كثيرة، أي عزاء يمكنك أن تستمدّه من آية مثل ١ كورنثوس ٤: ٥؟ ما الذي تقوله الآية، وما مدى أهمية النقطة التي وردت فيها؟

لمزيد من الدرس: تمّ تسجيل نجاته دانيال في عبرانيين ١١. إنَّ ما يُمكن أن يُطلق عليه «قائمة مشاهير الإيمان» تقول أنَّ الأنبياء، من ضمن منجزات أخرى، «سدُّوا أفواه أسود» (عبرانيين ١١: ٣٣). هذا رائع، ولكن يجب علينا أن نتذكَّر بأنَّ أبطال الإيمان ليسوا هم فقط الذين نجوا من الموت مثل دانيال، ولكن أولئك الذين تألَّموا وماتوا بشجاعة، كما يلاحظ عبرانيين ١١ أيضًا. إنَّ الله يدعو البعض للشهادة من خلال حياتهم وآخرين من خلال موتهم. وهكذا، فإنَّ قصة نجاته دانيال لا تعني أنَّ النجاة مضمونة لكل فرد، كما نتعلَّم من جموع الرجال والنساء الذين استشهدوا بسبب إيمانهم بيسوع. ولكن مع ذلك، فالنجاة العجائبية لدانيال تُظهِر بأنَّ الله مُتسلِّط، وبأنَّه سيُنجِّي جميع أولاده من قوَّة الخطية والموت في النهاية. هذا سيصبح واضحًا في الأصحاحات التالية من سفر دانيال.

أسئلة للنقاش

١. كتب الفرنسي جان بول سارتر ذات مرة بأنَّ «أفضل طريقة لتصوُّر المشروع الأساسي لواقع الإنسان هي القول بأنَّ الإنسان هو الكائن الذي مشروعه أن يكون الله» (جان بول سارتر، *Being and Nothingness*: A Phenomenological Essay on Ontology، صفحة ٧٢٤). كيف يساعدنا ذلك أن نفهم، إلى حدِّ ما، لماذا وقع الملك في الفخ؟ لماذا يجب علينا جميعًا، أينما كان موقفنا في الحياة، أن نحذر من نفس هذا الميل الخطير، بغض النظر عن البراعة التي قد تأتي بها؟ ما هي بعض الطرق الأخرى التي بها قد نرغب أن نكون «مثل الله»؟
٢. أي نوع من الشهادة نُقدِّمها للآخرين فيما يتعلَّق بأمانتنا لله ولشريعته؟ هل يعتقد الناس الذين يعرفونك بأنك ستقف لإيمانك، حتى وإن كلَّفك ذلك وظيفتك أو حتى حياتك؟
٣. ما الذي تراه في دانيال مما يجعله شخصًا يمكن أن يستخدمه الله بفاعلية لإتمام مقاصده؟ بمساعدة الرب، كيف يمكنك أن تُنمِّي وتطوِّر صفات ومزايا مشابهة لدانيال؟
٤. بأية طرق كان يمكن أن يتبرر دانيال في تصرفه، في ضوء الأمر الملكي، بأن يُعبِّر الطريقة التي كان يُصَلِّي بها؟ أو أنَّ ذلك كان يمكن أن يكون مُساومة خطيرة؟ إذا كان كذلك، لماذا؟